الأهرام
١٩٩٣/٢/٨

بروفيل

«ثومة»..!

هذه السيدة العظيمة ماتت عندما اكتشفت ان حنجرتها اصبحت عاجزة عن مطاوعة مقاطع الأغنية التى كانت تشدو بها!

كان ذلك بالتحديد فى فبراير عام ١٩٧٢، حيث غنت اغنيتها الأخيرة فى ليلة الخميس فى أول الشهر، الموعد الذى كان الوطن العربى من محيطه الى خليجه ينتظره بفارغ الصبر، ليستمع الى «الست» ويعيش مع صوتها ليلة طرب نادرة، تتوحد المشاعر والقلوب فيها، كما لم تتوحد من قبل أو بعد!

عندما رحلت عن دنيانا فى ٣ فبراير عام ١٩٧٥ ـ وهو للمفارقة نفس الشهرالذى توقفت فيه عن الغناء ـ تحول وداعها الى مثواها الاخير إلى «بكائية» عربية حارة ومريرة، ليس عليها فقط، ولكن ايضا على زمن كامل كان قد بدأ يطوى اوراقه ويرحل!

أم كلثوم رحلت فى الوقت المناسب تماما، رحلت قبل ان تكتمل ملامح زمن قادم، كان بالتاكيد سيصير غريبا عليها، بمناخاته السياسية والاجتماعية والثقافية!

أم كلثوم فى الغناء هى الست

والقيثارة وسيدة الغناء العربى أمس واليوم وغدا.

أم كلثوم فى السينما نصف دستة أفلام، اولها (وداد ـ ١٩٣٦)،وآخرها (فاطمة ـ ١٩٤٨)، وبعدها توقفت تماما عن التعامل مع السينما، بعد ان ادركت بذكائها الفطرى انها لم تخلق لتقف امام الكاميرا، وانما لتكون مطربة فقط، كانت تعى ان نجاح افلامها ليس بسبب قدرات تمثيلية وتعبيرية فائقة، ولكن بسبب سطوتها كمطربة عظيمة يعشقها الناس، لم تحب ام كلثوم كاميرات السينما، فكانت النتيجة ان السينما لم تستطع ان تكمل المشوار معها!

هذه حقيقة تؤكدها حفلاتها الغنائية المسجلة، فنادرا ماتجد لقطة مكبرة لوجهها، اومن زوايا عديدة لوقفتها على المسرح، كانت تكره ان تسلط عليها كاميرات التليفزيون، فكانت صورتها دائما من زواية واحدة جانبية عن بعد!

يوم الأربعاء الماضى كانت الذكرى الثامنة عشرة لرحيلها، وهى مناسبة لنسال فيها عن مصير «ثومة» الفيلم الذى كان يوسف شاهين قد أعلن عن تحقيقة، فمن المحزن اننا حتى الآن لم نقدم فيلما يليق بمكانة هذه السيدة التى توحدت مع وطنها، فصارت جزءا منه ومنا جميعا، مما دفع مجلة تايم الأمريكية للقول:«هناك شيئان فى الشرق الاوسط لايتغيران ولاينال منهما الزمن .. أم كلثوم والهرم»!

محمد حسين

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية